

تعالى ما يجب على المؤمنين أن يقيموا حياتهم عليه، من المبادئ والاحكام، والتحريم والتحليل، وأن يرتبطوا به ارتباط المتعاقدين الذين يسألون عن تنفيذ عقودهم، ويرجعون اليها متقيدين بها.

واليوم ندرس بعون الله موضوعاً آخر تجلى اهتمام هذه السورة الكريمة به، وحرصها على توجيه الرسول الكريم فيه - باعتباره مؤسس الأمة بأمر الله، وباني صرح مجدها وقوتها - توجيهها قوياً فاصلاً، لا يعرف التردد، ولا يسترسل في خطة المهادنة والمسالمة لمن لا تجدى معهم المهادنة والمسالمة.

هذا الموضوع هو حسم الأمر فيما يتعلق بأهل الكتاب بعد طول الصبر عليهم، والرفق بهم، والصفح عنهم، وتقبل جدالهم وما كان لهم من أسئلة لا يريدون بها إلا الفتنة، والارجاف على العقول، وبث الشكوك في النفوس الضعيفة، وشغل الرسول والمؤمنين عن توطيد الدعوة، وترسيخ أصول الرسالة، والترصص لما عسى أن يوجد به الزمن مع طول المداورة والمحاورة، من فرصة ينتهزونها للقضاء على هذا الرسول، الذي كانوا من قبل يستفتحون به على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، وقد كان اليهود في ذلك أشد على الإسلام ورسوله، صلوات الله عليه، من النصارى، وإن كان لكل كفه من هذا الاثم.

جاءت السورة بحسم الأمر في هذا الشأن، وأقامت هذا الحسم على أمرين:

أحدهما: استلال كل معنى من معاني العطف على هؤلاء الماكرين المترصصين من نفس الرسول، وتسليته وتنقية صدره مما كان يراوده من الحزن على عدم إيمانهم بالحق وهم أعرف الناس به، وعلى مسارعته في الكفر، وتأيد أهل الأوثان وهم أهل كتاب، وورثة أنبياء.

والآخر: اعلان القطعية بين الإسلام وبينهم في صورة واضحة لا مجاملة فيها ولا ضعف، فالحق أحق أن يتبع، وجذور الشر لابد أن تقتلع، وصاحب المبدأ يحسن منه الصبر والترفق، ولكن إلى حين، فإذا تجاوز بالصبر حده كان